العــرب وحياتهم العقلية

Arabs and their mental life

1– د. عبد الكريم معمري*، جامعة المسيلة (الجزائر)

abdelkrim.mammeri@univ-msila.dz

2– د. حميد معمري ، جامعة المسيلة (الجزائر)

hamidmam@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/11/16 تاريخ القبول: 2021/12/09 تاريخ النشر: 2021/12/31

ملخص:

كان العربي يسكن بلا شك بيئةً عربية محدودةً بمناطق معينة وتضاريس متباينة ومناخ صعب، لأننا وببساطة ندرس بيئة صحراوية تمثل الصحاري والقفار جزءا كبيرا منها، هذا إنْ علمنا أنّ رُبعا كاملا كان خاليا ، يُعرَف عند الجغرافيين بالرّبع الخالي أو صحراء الدهناء, ومن هنا كان تحديد الموقع الجغرافي للعرب هاما بالنسبة لمثل هذه الدراسة من جهة ، ولحصر هذا الجنس في نطاقٍ معيّن من جهة أخرى.

كما كانت للعرب، مثل غيرهم من الأمم، عقليةٌ خاصّة بهم، بها عُرفوا، ومنها عرفتهم الأمم الأخرى التي كانت تجاورهم وتعاديهم أيضا.

إذن، لم يكن الجنسُ العربيُّ بِدعًا من الأجناس الأخرى، فقد كانت تربط أفرادَه وقبائلَه علاقاتٌ اجتماعيّة تتراوح بين القوّة والضّعف، وبين التّآلف والتّناحر، وبين الاتّحاد والتّفرّق، وبين السّلم والحرب. كما كان ذلك الالتزام من الفرد نحو رهطه، ومن الرّهط نحو القبيلة، ومن القبيلة نحو أبناء العمومة والخؤولة والمصاهرة من القبائل الأخرى، وبين القبيلة وحليفاتها في السّلم والحرب، وغير ذلك من العلاقات والالتزامات التي تشكّل حلقةً تكبر كلّما زادت العصبيّةُ وتضيق كلّما ضاقت.

كلمات مفتاحية:البيئة العربيّة، تاريخ العرب، عقلية العرب، جغرافيا العرب، أصل العرب.

*- المؤلف المرسل

Abstract:

The Arab undoubtedly inhabited an Arab environment limited by certain areas, varying terrain and a difficult climate, because we simply study a desert environment of which deserts and wastelands represent a large part. Arabs geography is important for such a study on the one hand, and for limiting this genus to a specific range on the other hand.

The Arabs, like all other nations, had a mentality of their own, by which they were known, and through which they were known by other countries that were both neighboring and hostile to them.

Therefore, the Arabian race was not an innovation of the other races. Its members and tribes had social relations that oscillated between strength and weakness, between harmony and rivalry, between union and division, and between peace and war. It was also the commitment of the individual to his group and of the group to the tribe, and of the tribe to cousins, kinship and mixed marriages of other tribes, and between the tribe and its allies in peace. and war, and other relationships and engagements that form a circle that grows as nervousness increases and narrows as it shrinks.

Keywords: Arab environment; Arab history ;Arab Mentality;The geography of the Arabs;the origin of the Arabs.

أولا: العرب في شبه الجزيرة العربية:

أ- تحديد الجو الإقليمي للعرب:

سكن العرب القدامى الجزيرة التي تنسب إليهم، وإن أردنا التدقيق فقد كان شمالُ الجزيرة ومنتصفها هو الإقليمَ الذي استوطن فيه أجداد العربي منذ أزيَد من ألفي عام قبل الميلاد[1] وهي تتوسط العالم القديم في جنوب غرب قارة آسيا، تُحدُّ من الشمال ببادية الشام، ومن الجنوب بالمحيط الهندي ومن الشرق بخليج فارس وبحر عمان، ومن الغرب بالبحر الأحمر، وهي في الأصل شبه جزيرة إذ تحدّها المياه من جهاتها الثلاث " إنما سميت جزيرة بالغلبة كما سميت جزيرة العرب".[2]

(1)بلاشير رجيس، **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة إبراهيم الكيلاني. الدار التونسية للنشر و م.و.ك.الجزائر.1986. 19/1.

(2) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**. دار الفكر. بيروت. (د.ط).(د.ت) 1/ 263 .

ولقد قسّم الجغرافيون اليونان و الرومان القدامى بلاد العرب إلى ثلاثة أقسام اتفقت مع الناحية السياسية[3] وهي:

1- بلاد العرب الصخرية: وتقع في الشمال من بلاد العرب.

2- بلاد العرب السعيدة: ويقصد بها بلاد اليمن أو الأرض الخضراء.

3- بلاد العرب الصحراوية:" ولم يعيّنوا حدودها ولكن يفهم من كلامهم أنهم كانوا يطلقونها على البادية الشمالية التي تصاقب بلاد الشام غربا وتمتد شرقا إلى العراق والحيرة" .[4]

وتعتبر بلاد العرب الصحراوية هي القسم الأكبر من هذه الأقسام الثلاثة، وتنقسم بدورها إلى ثلاثة أقسام:

1- **الحــرّات:** وهي جمع حَرَّة، والحرة كما جاء في معجم ياقوت: " أرضٌ ذات حجارة سود نَخِرة كأنها أُحْرِقَت بالنار"[1]، وهذه الحرات مقذوفات بركانية تبتدئ من شرقي حوران وتمتد منتشرة إلى المدينة[2].

وقد عدّ ياقوت الحَمَوي في معجمه تسعا وعشرين حرة. [3]

ينظر أيضا إلى: عبد العزيز السيد سالم، **تاريخ العرب قبل الإسلام**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،مصر ،1، 64/1997.

و عبده الراجحي، **اللّهجات العربية في القراءات القرآنية**،دار المعرفة الجامعية، مصر، 1998، ص:8 وما بعدها، وفيه تفصيل للحدود الجغرافية لشبه الجزيرة عند الجغرافيين القدامى من عربٍ وغيرهم.

(3) السيد سالم،مرجع سابق، 65/1.

(4) شوقي ضيف، **العصر الجاهلي**، دار المعارف، ط18، مصر، 1995،ص: 17 .- وينظر: السيد سالم،مرجع سابق،65/1 وما بعدها.

(1)الحموي، مرجع سابق، مادة " حرة ". 245/2. وينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، (د.ت)، مادة: حرر.

(2)أحمد أمين، **فجر الإسلام**، دار الكتاب العربي، ط11، لبنان، 1975،ص: 02. وينظر: عبد العزيز سالم. مرجع سابق،67/1، وفيه بيتٌ لشاعر اسمه عَرْعَرة من بني نمير يصف بركانا ثائرا في حرة القوس .(ينظر المرجع نفسه. هامش ص: 66).

(3)الحموي، مصدر سابق، مادة:" حرة" . وينظر أيضا: ع العزيز سالم، مرجع سابق، 67/1، أحمد أمين، مرجع سابق، ص: 02.

2- الدّهناء (صحراء الجنوب): وهي التي نعرفها الآن باسم الربع الخالي[1] حيث تشغل ساحة كبيرةً من الجزيرة العربية، وقد قسّمها العرب إلى عدة أجزاء" فالجزء الأول بين شرقي اليمن وحَضْرَمَوْت يسمى صَيْهَدا، والذي بين شمالي حضرموت وشرقَيها يسمّى الأحقاف، والذي في شمالي مَهَرة يسمّى الدهناء ويسمى الآن جميعُه بالرّبع الخالي".[2]

3- صحراء النفود (بادية السَّماوة): وهي صحراء سميت قديما ببادية السّماوة أو ما يعرف الآن بصحراء النفود، وهو اسمٌ لم تكن تعرفه العرب من قبل، وهي تمتاز عن غيرها من الصحارى بكثبانها الرملية السهلة اللينة التي يصعب المشي عليها حيث تغوص الرجل عند السير.[3]

ب- أقسام جزيرة العرب:

قسّم جغرافيو العرب القدامى بلاد العرب إلى خمسة أقسام كبرى، وهي تهامة ونجد والحجاز والعروض واليمن، ولقد زاد ابن حَوقَل في كتاب " صورة الأرض" بادية العراق وبادية الجزيرة وبادية الشام[4] وظاهرٌ أنهم استندوا في هذا التقسيم على الطبيعة الجغرافية والجيولوجية .

1- تهامة: وهي المنطقة المتصوّبة على طول ساحل البحر الأحمر (بحر القلزم)، وجاء في لسان العرب " حكى ابن قتيبة في غريب الحديث عن الزيادي عن الأصمعي أن التهمة الأرضُ المتَصَوِّبة إلى البحر"[5] وقيل إنها سميت من التَّهَم، ويعنون به شدة الحر مع ركود الريح، ولانخفاضها أيضا سموها بالغور[6] وهي ممتدة " من أقصى الجنوب إلى خليج العقبة، وتقال أحيانا مضافة إلى القسم الذي تحاذيه، فقال تهامة اليمن، وتهامة عسير، وتهامة الحجاز.[7]

---

(1)ينظر: بلاشير، مصدر سابق. 21/1. و عبد العزيز سالم، مرجع سابق،69/1.

(2)أحمد أمين، مرجع سابق، ص: 02.

(3)عبد العزيز سالم، مرجع سابق، 69/1. و أحمد أمين، مرجع سابق، ص:01.

(4)عبد العزيز سالم، مرجع سابق، 70/1. و جاء في لسان العرب. مادة " تهم " قول الشاعر أمية بن أبي عائذ الهذلي، وفيه تقسيم لأرض العرب:

شَآمٌ يَمَانٍ مُنجِدٌ مُتَتَهِّمٌ حِجازِيّة أعْجَازُه وهْوَ مُسْهِلُ

ونلاحظ بأنه ذكر الشام دون ذكر " العروض" .

(5)ابن منظور، مصدر سابق، مادة "تهم"- ينظر أيضا إلى: الحموي، مصدر سابق، مادة " تهامة"

(6)عبد العزيز سالم، مرجع سابق، 70/1 - وينظر أيضا: شوقي ضيف، مرجع سابق،ص: 18.

(7)علي الجندي، **في تاريخ الأدب الجاهلي**، دار غريب، القاهرة، مصر، 1998، ص: 13

2- نجد: وهي الأرض المرتفعة عن تهامة، وتتكون من هضبة فسيحة تمتد إلى أرض العراق، قال صاحب اللسان " وما ارتفع عن تهامة إلى أرض العراق فهو نجد"[1]،وهي أوسع أقاليم جزيرة العربوأطيَبُها أرضا حيث تغنّى الشعراء قديما برياضها ورُبَاهَا، وإليها ينسب جَبَلا أَجَأ و سَلْمَى[2]في قبيلة طيء.

3- الحجاز: وهو ما بين نجد وتهامة، أو أنه يفصل ويحجز بين شيئين " لأنه فَصَلَ بين الغور والشام والبادية... وقيل لأنه حَجَزَ بين تهامة ونجد"[3]هو قُطرٌ فقير إلاّ أنّ أهميته راجعةٌ إلى وقوعه على الطريق التجارية التي تربط اليمن ببلاد الشمال.

وإليه رحل اليهود وأسّسوا حواضر فيه كخيبر والمدينة وغيرهما، وقد كَفَل " لسَاكنيه الاستقرار والتّحضّر حيث توجد مدينة تجارية دينية مثل مكّة أو مناطق زراعية مثل يثرب".[4]

4- العروض: وتشمل اليمامة والبحرين وما والاهما[5]،ويرسم ابن الكلبي حدودَها في قوله:" وأرض العالية والبحرين إلى عمان من العروض"[6]وسبب تسميتها بالعروض راجع إلى أنها تعترض بين اليمن ونجد والعراق، في حين يذهب أبو إسحاق الحربي إلى القول:" وأخرج عمر بن الخطاب اليهودَ والنصارى من جزيرة العرب، إلاّ أنه لم يخرجهم من نجران و لا اليمامة والبحرين فسُمِّيت العروض".[7]

وهي أرض صحراوية خاصة عند ابتعادنا عن ساحل الخليج العربي أو ما يعرف بالخليج الفارسي أو بحر فارس، ولذلك فإن أهلها أهلُ بداوة يطلبون مواطن الماء والكلأ.

---

(1)ابن منظور، مصدر سابق، مادة " نجد".

(2)ينظر: الحَموي، مصدر سابق، مادة " أجأ " و " سلمى"، ومنه قول لبيد يصف كتيبةً للنعمان:

كَأَرْكانِ سَلمَى إذْ بَدَتْ أو كَأَنَّها هِضَابُ أجَأ إذْ لاحَ فِيهِ مَواسِيلُ

(3)ابن منظور، مصدر سابق، مادة " حجز" . و ينظر أيضا: الحموي، مصدر سابق، مادة " حجاز"

(4)عبده الراجحي، مرجع سابق، ص: 15.

(5)الحموي، مصدر سابق، مادة" عروض". و ينظر أيضا: شوقي ضيف، مرجع سابق، ص19. وعبد العزيز سالم، مرجع سابق، 73/1. وعلي الجندي، مرجع سابق، ص: 14. و أحمد أمين، مرجع سابق،ص ص: 2-3.

(6)البكري، **معجم ما استعجم**، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، ط3، بيروت، 1403هـ، 10/1. و أيضا: عبده الراجحي، مرجع سابق، ص: 18

(7)البكري، مصدر سابق، 12/1. و عبده الراجحي، مرجع سابق، ص: 18. غير أننا نجد في لسان العرب- مادة عرض- أن العروض " هي مكة والمدينة واليمن وما حولها"، وقال ابن سيده: والعروض مكة والمدينة، وفسّروا قول لبيد: " تُقَاتِلُ ما بين العَروضِ وخَثْعَما "، أي ما بين مكة واليمن

5- اليمن: وهي منطقة واسعة تمتد عن تهامة شرقا إلى العروض غربا " واليمن ما كان على يمين القِبلة من بلاد الغَوْر (تهامة) ... وقيل لناحية اليمن يَمَن لأنها تَلِي يمين الكعبة، كما قيل لناحية الشأم شأم لأنها من شمال الكعبة".[1]

على أن سبب تسميتها باليمن أيضا يعود إلى اليُمْنِ أي الخير والبركة، ذلك أنها أرض خصبة عرفها العرب بقولهم الأرض الخضراء، وفيها يقول الكلاعيُّ:

هِيَ الخَضْراءُ فاسْألْ عَن رُبَاهَا يُخْبِرِكَ اليَقِينَ المخْــبرونا
ويُمْطِــرُها المُهَيـمِنُ فـي زَمَانٍ بِهِ كـلُّ البَرِيَّةِ يَضْمَــؤونا
وفي أَجْــبَالِها عِـــــزٌّ عَــزِيــز يَظَلُّ له الوَرَى مُتَقَاصِرينَا
وأشـــــجَارٌ مُنَـــوَّرةٌ و زُرُوعٌ وفــاكِهــةٌ تَروقُ الأَكِلِيـــنا[2]

وقد أشار القرآن إلى أرضها وخيراتها في سورة سبأ في قوله تعالى:" **لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِيمَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ** {15}" [3]

وكان لهذا للتفضيل الرباني أثرُه في بناء دول وحضارة " منذ أواخر الألف الثاني قبل الميلاد إلى أوائل القرن السادس الميلادي".[4]

جـ- مناخ الجزيرة العربية:

لمّا أن أكثر أراضي الجزيرة العربية صحراوية فإنّ مناخها يكاد يكون حارا وجافا، إذ الأمطار نادرةُ السّقوط إلاّ في الجنوب بأرض اليمن، حيث تنزل أمطار الرياح الموسمية في الصيف، وإلا في الشمال الغربي حيث تسقط أمطار الرياح الغربية وقت الشتاء، وكثيرا ما تؤدي هذه الأمطار إلى خراب[5]حيث تتحول إلى سيولٍ جارفة كما يحدث في اليمن وشمالَي الحجاز.

---

(1)ابن منظور، مصدر سابق، مادة – يمن-.

(2)عبد العزيز سالم، مرجع سابق، 74/1. (وجاء في كتاب" صفة أرض العرب" للهمذاني قوله: " سمّيتِ اليمن الخضراءَ لكثرة أشجارها وثمارها وزروعِها " ، الراجحي، مرجع سابق ص:16). و ينظر أيضا: في علي الجندي، مرجع سابق، ص: 14.

(3)سورة سبأ. رقم 34.آية: 15.

(4)شوقي ضيف، مرجع سابق، ص: 20.

(5)ينظر: بلاشير، مرجع سابق،21/1. و عبد العزيز سالم، مرجع سابق، 78/1. و شوقي ضيف، مرجع سابق ص: 20 وما بعدها (وفيه يذكر خبرا عن وصف امرئ القيس في معلّقته سيلا جارفا حدث بالقرب

وتبعا لهذا المناخ الجاف فإنّ حياة العرب آنذاك كانت تعتمد على الرحلة في طلب أماكن الماء والكلأ، ولا يوجد الاستقرار إلا في بعض المناطق كاليمن والحجاز واليمامة حيث الاعتماد على الزراعة وتربية الحيوانات، أما نبات الأرض فقد وصف الشعراء القدامى أرضَهم التي تنبت فيها بعض الأزهار كالخزامى والعَرار وبعض الأشجار كالأرطى والسّدر والغضا والحنظل وغيرها.

كما كانت تعيش على أرضهم بعض الحيوانات الوحشية كالضبع والذئب وابن آوى، ونجد في الصحارى الحمارَ الوحشيَّ والنعام والغزال وبقر الوحش والظباء، أما حيواناتهم الأليفة فنجد الإبل والخيل والبقر والماعز والغنم، ومن الطيور الصقر والنسر والغراب والبوم والحدأة، ومن الزواحف الأفاعي والثعابين والضّب والعقرب، وكل ذلك مذكور في شعرهم.

ثانيا: تاريخ الجنس العربي و تحديد أصوله:

إن الحديث عن الجنس العربي يقودنا بادئ ذي بدء إلى الحديث عن كلمة" عرب" التي قيل إنها وجدت في وثائق آشورية وبابلية منذ القرن الثامن قبل الميلاد، وقد كانت تعني البادية التي تقع غربا من بلاد الرافدين ويعنون بها بادية العراق .[1]

ويذكر الأستاذ جواد علي في كتابه " تاريخ العرب قبل الإسلام" أن كلمة " عربانية" ظهرت لأول مرة في النصوص الفارسية قاصدين بها " البادية الفاصلة بين العراق والشام بما فيها شبه جزيرة سيناء"[2]في حين كان أهل الحضر يُسَمَّون بأسماء قبائلهم أو بأسماء الأماكن التي يسكنونها، غير أن المؤرخين لا يعرفون على وجه التدقيق متى استعمل لفظ العرب للدلالة على هذا الجنس " والقرآن الكريم هو أول مصدر ورد فيه لفظ العرب[3] للدلالة بوضوح عن هذا المعنى"[1]ومن البديهي أن القرآن يخاطب قوما هم على علم مسبق بهذا اللفظ وبهذا المعنى.

من تَيماء، حيث منازلُ بني أسد)، ينظر إلى أبيات امرئ القيس رقم: 70إلى 81 (نهاية المعلقة) في : الزّوزني، **شرح المعلقات السبع**، مكتبة المعارف، بيروت، 1994،ص ص: 60،54.

(1)ينظر: عبد العزيز سالم، مرجع سابق، 43/1. و بلاشير، مرجع سابق، 19/1.

(2)نفسه. 43/1 .

(3) وردت كلمة" عرب" في القرآن بإضافة ياء النّسبة (عربيّ)، و باختلاف الإعراب نصبا ورفعا (عربيًّا- عربيٌّ) إحدى عشرة مرة منها عشرة نعتا للقرآن، وواحدة نعتا للرسول ص فقد جاء " عن سعيد بن جُبَير أنه قال في هذه الآية : (" لولا فُصِّلَتْ آياتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وعَرَبِي" قال: لو كان هذا القرآن أعجميًّا لقالوا القرآن أعجمي ومحمد عربي") . ينظر : الطبري، **تفسير الطّبري**، دار الفكر، بيروت، 1405هـ، 126/24. و ينظر المصدر نفسه. 127/24 و 191/26)

1- أصل العرب و طبقاتهم:

أ- أصل العرب: لن يختلف هذا التحديد في أصل العرب وطبقاتهم عما سبقه من بعض الموضوعات وما سيأتي لاحقا في أثناء هذا البحث عن اختلاف وجهات النظر في سبب تسميةٍ أو تحديد سنةٍ أو تأكيد نسبةٍ أو غير ذلك مما لا تختلف فيه الفنون والعلوم والآداب مع اختلاف الألسن.

مما لا يختلف فيه المؤرخون والإخباريون أن العرب من الشعوب السامية نسبةً إلى سام بن نوح وعلى هذا قول النبي ص:" سام أبو العرب وحام أبو الحبش"[2]وأما "يافث " فمن ولده التُّركُ والصين والصّقالبة ويأجوج ومأجوج".[3]

وقد تحدث اللغويون والأدباء والمؤرخون عن سبب تسمية العرب بهذا الاسم، حيث ذهب الألوسي في " بلوغ الأرب" إلى القول :" إنهم سُمُّوا بالعرب لاشتهارهم بالفصاحة والبيان، من قولهم: أَعْرَبَ الرجلُ عمَّا في ضميره إذا أبَانَ عنه"[4]والسبب نفسه نجده عند ابن خلدون حيث يقول: "... ثم إنّ العرب لم يزالوا موسومين بين الأمم بالبيان في الكلام والفصاحة في المنطق والذلاقة في اللسان ولذلك سُمُّوا بهذا الاسم فإنه مشتق من الإبانة لقولهم: أَعْربَ الرجل عما في ضميره إذا أبان عنه"[5]في حين نجد في معجم البلدان للحموي قوله:" عَرَبَة (بالتحريك) هي في الأصل اسمٌ لبلاد العرب، قال أبو منصور: اختلف الناس في العرب لِمَ سُمُّوا عربا فقال بعضهم: أول من أنطق الله لسانَه بلغة العرب يَعْرُب بن قحطان وهو أبو اليمن... وقال آخرون نشأ أولاد إسماعيل بعَرَبَة، وهي من تهامة، فنُسِبوا إلى بلدهم"[6]ولكن في قول الرسول ص لأبي ذر الغفاري" أربعة من العرب: هود وصالح وشعيب ونبيّك يا أبا ذر"[7]دليل على قِدَم العربية لأنّ

أما السور والآيات فهي كالتالي: سورة يوسف (12) آية (02)/ سورة الرعد(13) آية (37)/ سورة النحل (16)آية 103/ سورة طه (20)آية: 113/ سورة الشعراء(26)آية 195/ سورة الزمر(39) آية 128/سورة فصِّلت (41)آية 03 و 44 /سورة الشورى(42)آية: 07 / سورة الزخرف (43)آية 03/ سورة الأحقاف (46) آية: 12 .

(1)عبد العزيز سالم، مرجع سابق، 45/1

(2)ابن كثير، **البداية والنهاية**، مكتبة المعارف، بيروت، (د.ت)، 1/ 115 .

(3)ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1971. 10/2.

(4)علي الجندي، مرجع سابق، ص: 21.

(5)ابن خلدون، مصدر سابق ،15/2

(6)الحموي، مصدر سابق، مادة " عربة".

(7)ابن كثير، مصدر سابق، 120/1. و ينظر أيضا: معجم البلدان للحموي. مادة " عربة".

فهم من كان قبل إسماعيل (عليه السلام)، في حين نجد الأزهريَّ يقول:" والأقرب عندي أنهم سموا عربا باسم بلدهم العَرَبَات".[1]

ويقول مصطفى صادق الرافعي- وإن كان قوله نجده مبثوثا في كتب عدّة منها معجم البلدان ولسان العرب- :" إن اللفظة قديمة يراد بها في اللغات السامية معنى البدو والبادية، وكانت هذه خاصية العرب في التاريخ القديم، ولكن لما تحضّر بعضهم وسكنوا المدن وأقاموا فيها خصُّوا لفظة " العرب" لهؤلاء الذين يعيشون في المدن، وأطلق على سكان البادية " الأعراب"، ولما جاء الإسلام أصبح لفظ الأعرابي يدل على الجفاء وغلظ الطبع، وبذلك خرجت الكلمة عن معنى البادية"[2].

لقد تكون هذه الآراء وغيرها مما لم نذكر دليلا على أننا لن نطمئن إلى سبب من الأسباب ذي رجحان وقوةِ برهان، وسواء كانت هذه اللفظة دالة على أرضٍ بعينها أو على لسانٍ يفصح به أو حالة بدوٍ وبادية، إلاّ أننا لن نعثر على رابطٍ بينهم إلا أن نقول إن هذا الجنس العربي الذي عاش في بادية من شبه الجزيرة العربية ولم يختلط بغيره وقتا من الزمان لحريٌّ أن يستقيم لسانه ويفصح ويعرب بالمنطوق عن أغراضه المختلفة، ولأمرٍ ما ظلّ الأعراب الذي استقروا في باديتهم إلى ما بعد الإسلام بزمن مهوى أفئدة الكثيرين من الرعيل الأول من علماء العربية حيث " كان الرواة يلتمسونهم ويحملون عنهم، ويرون فيهم أنهم أهل اللغة العربية الفصحى".[3]

ب- **طبقات العرب:** مهما اختلف الرواة والإخباريون ومؤرخو العرب في تقسيم العرب وتحديد طبقاتهم إلا أن الاختلاف لفظيٌّ فقط، وإننا بذلك لن نخرج عن نطاق أنهم ينقسمون إلى قسمين كبيرين: عرب بائدة وعرب باقية.[4]

---

(1)ابن منظور، مصدر سابق، مادة " عرب". وجاء فيه شعر:

وعَرْبَةُ أرضٌ ما يَحِلُّ حَرَامَها مِنَ النّاسِ إلاّ اللّوْذَعِيُّ الحُلاحِلُ (يعني النبي ص)

وقول الآخر: ورُجَّتْ بَاحَةُ العَرَبَاتِ رَجًّا تَرَقْرَقُ في مَنَاكِبِهَا الدِّمـــــاءُ.

(2)مصطفى صادق الرافعي، **تاريخ آداب العرب**، المكتبة العصرية،ط1، بيروت، 2000م،45/1.بتصرفٍ بعضَ الشّيء .

(3) نفسه، 1/ 46.

(4)يقسم ابن خلدون في تاريخه العربَ إلى أربعة طبقات متعاقبة تاريخيا: العرب العاربة وهم البائدة، ثم العرب المستعربة وهم القحطانية، ثم العرب التابعة لهم من عدنان والأوس والخزرج والغساسنة والمناذرة، ثم العرب المستعجمة وهم الذين دخلوا في نفوذ الدولة الإسلامية، وسموا بذلك لاستعجام لغتهم على اللسان المضري الذي نزل به القرآن الكريم. (ينظر تاريخ ابن خلدون. 16/2 وما بعدها).

1- العرب البائدة:

يرى المؤرخون والرواة أنّ العرب البائدة إنما تشمل: عاد وثمود والعمالقة وطسم وجديس وأميم وجرهم وحضرموت وكل من ينتمي إليهم، ويذكرابن خلدون بأن "هذه الأمة أقدم الأمم من بعد قوم نوح وأعظمهم قدرةً وأشدهم قوةً وآثارا في الأرض وأول أجيال العرب من الخليقة فيما سمعناه".[1]

ويصرح بأن هذه الأخبار المسموعة إنما جيء بها من القرآن الكريم في قصص الأنبياء الأقدمين أو مما نُقِل عن زعماء المفسّرين والذين نقلوها هم عن السّلف من التابعين الذين أخذوا عن الصحابة أو سمعوه عمّن هاجروا وأسلموا من علماء اليهود وأحبارهم أصحابِ التوراة، وأن ماعدا هؤلاء فأحاديثُ قُصّاصٍ و إخباريين وأساطير لا يُعَوَّلُ عليها في شيء.

ويذكر أيضا أنهم سكنوا الجزيرة العربية وامتد مُلكُهم فيها إلى الشام ومصر، وأنهم انتقلوا إلى جزيرة العرب من بابل حين زاحمهم فيها بنو حام، ثم كان لكلِّ فرقة ملوكٌ وقصور، حتى غلب عليهم بنو يعرب بن قحطان.[2]

كما سميت العرب البائدة بالعرب العاربة أيضا ويقصد به التأكيد للمبالغة والرسوخ في العربية أو بمعنى الفاعلة للعروبية والمبتدعة لها.

أما سبب تسميتهم المشهورة بالعرب البائدة بمعنى " الهالكة" لأنهم بادوا كلُّهم وامَّحَت آثارهم من على الأرض، ولم يبق أحد من نسلهم، فقد أبادهم الله جراء كفرهم وطغيانهم وعبادتهم الأوثانَ مع ما بعث الله لهم من أنبياء، فقد أرسل الله إلى عاد أخاهم هودا عليه السلام وكانت مساكنهم بالأحقاف فكفروا وأعرضوا فأرسل الله عليهم ريحا عاتية أهلكتهم ودمّرتهم شرَّ تدمير[3]وبعث إلى ثمود[4]أخاهم صالحا، وكانوا بالحجر ووادي القرى بين الحجاز والشام فأعرضوا هم أيضا وكفروا وعقروا ناقة صالح فأخذتهم الرجفة

وهناك من قسّم العرب إلى ثلاث طبقات هي: عرب عاربة(بائدة) وعرب متعرّبة (القحطانية) وعرب مستعربة(العدنانية). ينظر: عمر فروخ، **تاريخ الجاهلية**،دار العلم للملايين، بيروت، 1964، ص: 75. وهناك من يقسِّم العرب إلى طبقتين فقط: قحطانية باليمن وعدنانية بالحجاز.

(1)ابن خلدون،مصدر سابق، 18/2.

(2)نفسه، 18/2 وما بعدها .

(3)**القرآن الكريم**: الشعراء رقم: 26، آية: 123-130- فصّلت (41) آية: 16-الأحقاف (46) آية: 24-25- الذاريات (51) آية 41-42

النجم (53)آية: 50-51- القمر(54) آية : 18-20- الفجر (89) آية: 6-7.

(4)القرآن الكريم: الأعراف (7)آية 73-78- هود(11)آية 67-68- الشعراء(26)آية: 141-158- النمل(27) آية 45-52- فصلت (41)آية: 13-18- الذاريات (51) آية: 23-51- القمر (54) آية31.

فأصبحوا في ديارهم جاثمين[1]، وأرسل الله النبي شعيب (عليه السلام) إلى مَدْيَن حيث كانوا يقطعون الطريق ويبخسون المكيال فحذّرهم من ذلك ودعاهم إلى الإيمان بالله فأعرضوا فأخذتهم الرجفة فهلكوا[2]وأما جُرْهُم فهم أمّتان: الأولى على عهد عاد وقد هلكت، وأما الثانية فترجع إلى جرهم بن قحطان أخي يَعْرب " وهذه الأمة الثانية هي التي بعث الله إليهم إسماعيل (عليه السلام) وتزوج فيهم".[3]

وأما حضرموت فيذكرون أنها معدودة في العرب العاربة وليسوا من العرب البائدة لأنهم باقون في الأجيال المتأخّرة.

2- العرب الباقية: وهي قسمان: متعربة و مستعربة:

أ- العرب المتعربة: أو عرب الجنوب أو القحطانيون أو اليمنيون، ويقال إنهم نزحوا من الفرات واتخذوا اليمنَ منازل لهم، وهم ينتسبون إلى قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح[4]وتواترت الأخبار أن قحطانا هذا سكن اليمن واتخذها عاصمة لملكه، وأنه من بعده ابنه يعرب، ثم مَلَكَ ابنه يشجب ثم ابنه عبدُ شمس، وهذا الأخير كان يسمى "سبأ" وإليه تنسب الدولة السبئية، وهي دولة أتت بعد الدولة المعينية التي كانت عاصمتها " قرنا " ثم كانت الدولة القتبانية وعاصمتها" تيماء" في الدور الثالث، وأخيرا الدولة الحضرمية وعاصمتها شكوة[5]

وتعتبر حضارة سبأ من أهم الحضارات اليمنية القديمة، وباسمها سميت سورة في القرآن الكريم[6]وقصة ملكتها بلقيس مع سليمان(عليه السلام)معروفة[1]، وكذا قصة سدِّها وخرابه من بعد ما أصاب أهلَها التّرفُ والفساد فأهلكهم الله بسيل العرم[2]ومزّقهم في الأرض كلَّ مُمَزَّق.

---

(1)قال ابن خلدون:" وكذلك يزعم بعض النسّابة أن ثَقِيفا من بقايا ثمود هؤلاء، وهو مردود، وكان الحجّاجُ إذا سمع ذلك يقول: كذبوا، وقال: والله جلّ من قائل: وثمودا فما أبقى . أي أهْلَكَهم". ابن خلدون، مصدر سابق، 42/2

(2)" فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين" سورة الأعراف (07) آية: 91. وقوله تعالى:" فَكَذَّبوه فأخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فأصبَحُوا في دَارِهِم جاثِمِين" سورة العنكبوت (29) آية: 37 .

(3)ابن خلدون، مصدر سابق، 31/2.

(4)نفسه، 32/2. في حين نجده في سفر التكوين- الاصحاح العاشر- هو قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفكشاد بن سام بن نوح . ينظر: عبد العزيز سالم، مرجع سابق، 49/1 (هامش رقم1).

(5)ينظر: محمد الفيومي، **تاريخ الفكر الديني الجاهلي**، دار الفكر العربي، ط4، القاهرة،1994،ص:104. في حين نجد أنّ عاصمة مملكة قتبان هي تِمْنع، أما مملكة حضرمَوت فعاصمتها شبوة. ينظَر: شوقي ضيف، مرجع سابق، ص:27

(6)قال تعالى ذاكرا سبأ ومبيّنا للحضارة الراقية والثراء الفاحش:﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ سبأ (34) آية :15 .

ويعتبر المؤرخون أن الجنوبيين هجروا بلادهم بعد خراب سد مأرب إلى أنحاء مختلفة من شبه الجزيرة العربية، ويذكر القلقشندي بأنّ من العدنانيين عربِ الشمال المستقرّين في الحجاز من هاجر إلى اليمن، ويقول:" وصار بعض عرب اليمن إلى الحجاز فأقاموا به، وربما صار بعض عرب الحجاز إلى اليمن فأقاموا به، وبقي من بقي منهم بالحجاز واليمن على ذلك".[3]

ومن قوله الأخير يتبين أن اليمنيين لم يهجروا بلادَهم كلُّهم، ويذهب بلاشير إلى القول:" ولا يذهبنَّ بنا الظنّ إلى اعتبار الهجرة الجنوبية سيلا جارفا اتّجه من الجنوب إلى شمال شبه الجزيرة[4]بل إنّ هذا التداخل في الهجرات فيما لا نعرف من الوقت والظّروف على وجهٍ من الدقة،ممّا ذهب بالدكتور عبده الرّاجحي إلى التساؤل فيما " هل نستطيع أن نقبل تقسيم العرب إلى قحطانيين وعدنانيين على أنه تمييز قاطع بينهما؟ [5]ثم يجيب بالنفي، لكنه يدلّل على أنّ المنهج العلميَّ يتطلب التّقسيم والتّصنيف، ثم يستطرد قائلا:" نحن إذن مضطرّون إلى الأخذ بتقسيم العرب إلى قحطانيين وعدنانيين، ولكن ليس على أنّ هؤلاء عدنانيون وأولئك قحطانيون، بل على أنها أسماءُ قبائلَ مهما تكن هذه الأسماء، وكلّ الذي يهمّنا الآن من هذه الأسماء أن نعرف منازلها من شبه الجزيرة".[6]

وحرِيٌّ بنا بعد هذا أن نعرف أنّ أهمّ قبائل اليمن أربعٌ هم: حمير وكهلان وأشعر وعاملة.

---

(1)يقول تعالى:﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ {22} إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ إلى قوله تعالى:﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ سورة النمل (27) آية (22-44).

(2)قال تعالى:﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ سورة سبأ (رقم 34)آية: 16. ومن أمثلة العرب قولهم:" تفرّقوا أيادِي سَبَأ" و " أيادي سبأ" اسم مركب مبني على فتح الجزئين في محل نصبٍ حال تقديره " متفرّقين" .

(3)عبده الراجحي، مرجع سابق، ص: 21.

(4)بلاشير، مرجع سابق، 33/1.

(5)عبده الراجحي.، مرجع سابق، ص: 22.

(6)نفسه، ص: 22. وللإشارة فإننا نجد صاحبَ الأغاني وبالتحديد في موضوع " نسَب جميل وأخباره" يقول: " والنّسّابون مختلفون في قضاعة، فمنهم من يزعم أن قضاعة بن معدّ وهو أخو نزار...ومنهم مَن يزعم أنهم من حِمْيَر". يُنظر: الأصفهاني، **الأغاني**، شرح سمير جابر، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1992، 95/8. و ينظر في الموضوع أيضا في: بلاشير، مرجع سابق، 25/1.

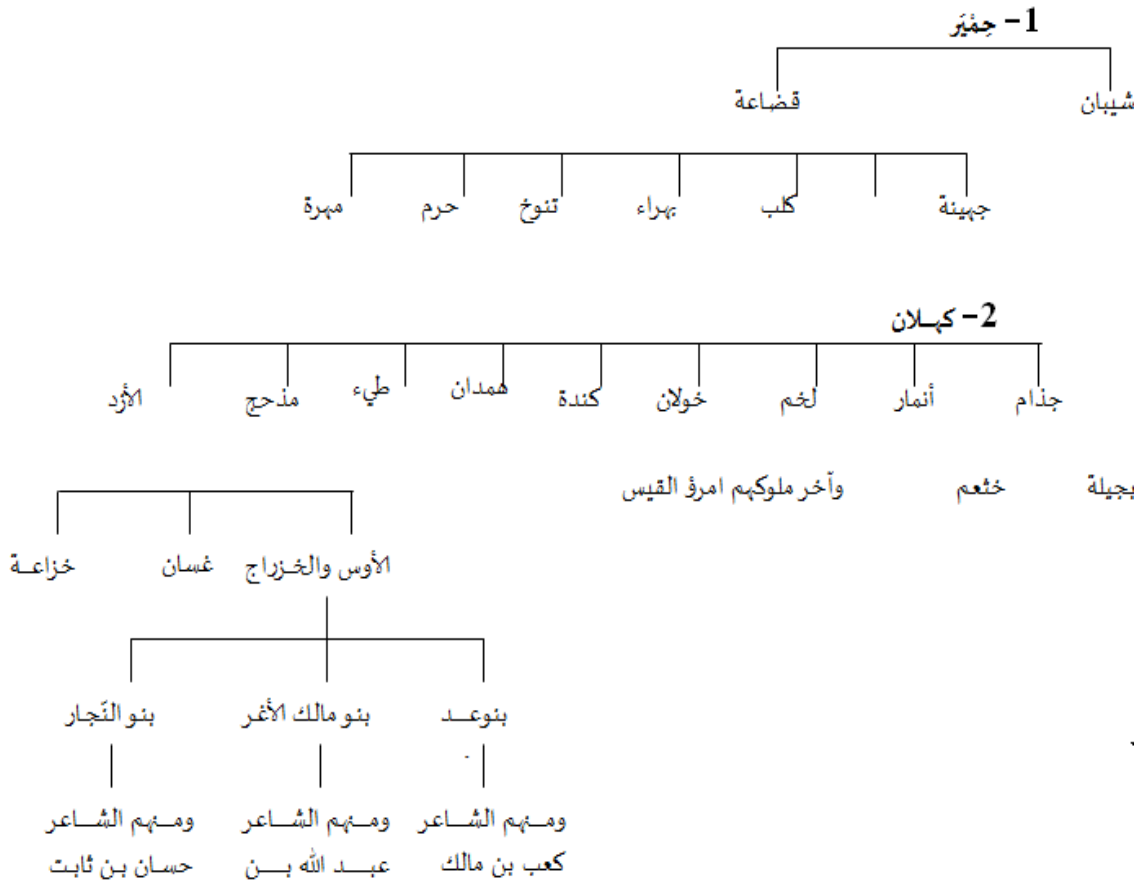

ب- العرب المستعربة : أو عرب الشمال أو المعدّيون أو العدنانيون أو الإسماعيليون إما نسبةً إلى الأرض التي كانوا يسكنونها، وهي شمال اليمن في تهامة والحجاز ونجد حتى مشارف العراق والشام ، وإما نسبة إلى مَعَدّبن عدنان، أحدِ أحفاد إسماعيل بن إبراهيم (ع) من ناحية النّسب[1] كما سُمُّوا بالعرب المستعربة وذلك لأنّ إسماعيل (ع) عندما نزل مكة كان يتكلم العبرانية، ولما صاهر اليمنية تعلم العربية منهم.

ولقد ظلّ عرب الشمال يعيشون معيشة صحراوية تعتمد على رعي الإبل والغنم وتتبع مساقط الغيث، ومنابت الكلأ، ولم تكن لهم حواضر إلا بالواحات في الحجاز، ويذكرون أن " مواطن بني عدنان

(1)وقد روى ابن عباس أن النبي " ص " انتَسَبَ فلمّا بلغ عدنان وقف، وقال: كذب النسّابون، وقد روى ابن إسحاق عن يزيد بن رومان عن عائشة أن النبي (ص) قال: استقامت نسبة الناس إلى عدنان " الفيومي، مرجع سابق، ص:101. وجاء في كتاب فجر الإسلام لأحمد أمين ص:05: " سُئِل مالك رحمه الله عن الرجل يرفع نسبه إلى آدم، فَكَرِهَ ذلك، وقال: مِن أين يعلم ذلك ؟ فَقِيل له فإلى إسماعيل فأنكَرَ ذلك، وقال: ومَن يخبره به " – ينظر أيضا: ابن خلدون، مصدر سابق، 2/ 03 - وينظر أيضا: في علي الجندي،مرجع سابق، ص: 28. وفي هذا دليل على أن الأنساب كانت ولا تزال في مجموعها مجالا للشك.

نزار
مضر
ربيعة
ضبيعة
وائل
أسد
قيس عيلان
خندق

مختصة بنجد، وكلها بادية رحالة إلا قريشا بمكة ونجد. قال السّهيلي : ولا يشارك بني عدنان من العرب في أرض نجدٍ أحدٌ من بن قحطان إلا طيء من كهلان، فيما بين الجبلين سلمى وأجأ، قال: ثم افترق بنو عدنان في تهامة والحجاز، ثم في العراق والجزيرة يعني الجزيرة الفُراتية "[1] .

أما أشهر قبائلهم فهي نزار ومنها تفرّع البطنان الكبيران: مُضَر وربيعة:

عبس ذبيان بنو عبد مناف قريش بنو مالك

لقد يكون الذي ذكرناه سابقا خلاصةً لأهم القبائل العربية وسواء صحّت أنسابهم أم لم تصح إلا أنهم اعتنقوها وقبلوها، ولا سيما المتأخرين منهم، حيث بنوا عصبياتهم التي نفسِّر بها أحداثا تاريخية هامة، ونفهم بها شعرا وأدبا جمّا، وخاصة فيما يتعلق بالفخر والهجاء. وتموقع كل الناس على أنهم إما من ربيعة أو من مضر أو من اليمن, بل إننا نجد أن الصراع كان يدور بين القيسية واليمنية, حيث تصبح قيس عيلان شاملةً لكل بني نزار من مضر وربيعة. وبهذه العقيدة الراسخة في عقولهم أنشأوا كثيرا من تفاخرهم ومهاجاتهم ولا سيّما خلفاء بني أمية ومن جاء بعدهم, حيث أذكَوا نارَ الأنساب حين كثرت الأحزاب المنادية بالملك والخلافة .

ثالثا: الحيـــاة العقليـة:

لقد يكون من بين قدرة الله على العباد وفضله عليهم ومشيئته فيهم اختلافهم اختلافا واضحا في العقلية والنفسية تبعا لاختلاف البيئة والطبيعة الاجتماعية, فعقلية العربي غير عقلية الفرنسي، وعقلية هذا الأخير تختلف اختلافا واضحا عن عقلية الإنجليزي, بل إنّ الجنس الواحد لَيَختلف فيما بينه اختلافا متباينا فالعربيُّ ساكن المدينة يختلف عن العربي ساكنِ القرية, وساكن القرية يختلف عن ساكن البادية وهكذا دواليك, ولكنّ اختلاف الجنس الواحد في صفاتٍ ومميزات معينة, لا ينفي وحدة هذا الجنس وتميّزه بعقلية ونفسية واحدة مشتركة , فمتى ما حكمنا على رجل يتميّز بالبرودة في الانفعال مثلاً قلنا إنه يمثل الهدوء واللاانفعال الإنجليزي, فإذا حكمنا على رجل آخر يتميز بالانفعال الذي يصحبه طَيْش في بعض الأحيان قلنا إنه يمثّل العقلية والنفسية العربية وهكذا, ومع أن المقياس لا يخضع البتّة إلى قاعدةٍ معينة إلا أنه من دائرة العموم والشمول.

ومن خلال ما تقدم نستطيع الإلمام بجملة من صفات العربي وخصائصه العقلية والنفسية متمثّلةً في جملة من الآراء في العرب تتشكل من مذهب أهل الشعوبية[2]كطرف عدائي للعرب، وفي ردّ الجاحظ عليهم كطرف محامٍ لهم, وكذا نظرة ابن خلدون في مقدمته ونظرة بعض المستشرقين.[1]

(1)عبده الراجحي، مرجع سابق، ص: 30.

(2)الشعوبية : نسبة غير قياسية إلى الشعوب, وهم فريق من الناس لا يرون للعرب فضلا على غيرهم , بل يبالغون في ذلك , فيذهبون إلى تنقصهم والحطّ من قدرهم حتى ألّفوا في ذلك الكتب , وسمّوا بذلك

قال بعض الشعوبية في العرب" لم تزل الأمم كلُّها من الأعاجم في كلِّ شِقٍّ في الأرض لها ملوكٌ تحميها ومدائنُ تضمها, وأحكامٌ تدين بها، وفلسفة تنتهجها، وبدائع تفتقها في الأدوات والصناعات مثل صنعة الديباج ولعبة الشطرنج ... ومثل فلسفة الروم في ذات الخلق والقانون والاسطرلاب.ولم يكن للعرب مَلِكٌ يجمع سوادَها ويضم قواصيَها ويقمع ظالمَها وينهي سفيهَها، ولا كان لها قطُّ نتيجةٌ في صناعةٍ ولا أثرٌ في فلسفة إلا ما كان من الشعر، وقد شاركتهم فيه العجم, وذلك أنّ للروم أشعاراً عجيبة قائمةَ الأوزان والعروض..."[2].

ونسمع للجاحظ في ردّه عليهم قوله: " فأما الهند فلهم معانٍ مدوّنة وكتبٌ مخلدة لا تضاف إلى رجلٍ معروف, ولا إلى عالمٍ موصوف, وإنما هي كتبٌ متوارثة, وآداب على وجهِ الدّهر سائرة مذكورة ولليونانيين فلسفة وصناعة ومنطق, وكان صاحبُ المنطق نفسُه بَكِيَّ اللّسان غيرَ موصوفٍ بالبيان ... وفي الفرس خطباءُ, إلاّ أنّ كلّ كلامٍ للفرس وكلّ معنى للعجم فإنما هو عن طول فكرةٍ وعن اجتهادِ رأي ... وكلّ شيءٍ للعرب فإنما هو بديهةٌ وارتجال، وكأنه إلهام، وليست هناك معاناة ولا مكابدة ولا إجالة فكرٍ ولا استعانة...فما هو إلاّ أنْ يصرف وهمَه (أي العربي) إلى جملة المذهب، وإلى العمود الذي إليه يقصد فتأتيه

لانتصارهم للشعوب التي هي مغايرة للقبائل, فقد قال جمعٌ من المفسّرين في قوله تعالى :" يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وقَبَائِلَ" إن القبائل العربُ والشعوبَ العَجَمُ , ويقولون إنّ زياد بن أبيه حين استلحَقَه معاوية بأبيه وخَشِي ألاّ تقرّ له العرب بذلك صنع كتاب "المثالب" وعدّد نقائصَ العرب=

=كما أن النضر بن شميل الحميري , وخالد بن سَلَمَة المخزومي وضعا كتابا في مثالب العرب ومناقبها بأمر هشام بن عبد الملك، وكان الهيثم بن عديّ دعِيًّا في نسبه فصنع كتابا طعن فيه على أشراف العرب، وأما أبو عبيدة، وقد كان أبوه يهوديا, وكان يُعَيِّرُ بذلك فصنع كتابا في مثالب العرب امتاز بالسعة والاستقصاء , وجاء من بعدهم علاّن بن الحسن الشعوبي الورّاق الزنديق فألّف لطاهر بن الحسين كتابا في مثالب العرب، بدأه بمثالب بني هاشم ثم بطون قريش ثمّ سائر العرب، ولم يعْبَأ في ذلك بالخروج عن أدب الدّين، ولابن الكلبيّ أيضا كتابٌ في المثالب. ومن أهمّ من ردّ على الشعوبيّة الجاحظُ في البيان والتّبيين في الجزء الثالث المُسَمّى بالعصا، وفي بلوغ الأرَب ردٌّ لابن قتيبة على الشّعوبيّة.

(1)عرض الأستاذ أحمد أمين في فجر الإسلام فصلا في طبيعة العقلية العربية وتعرّض إلى هذا الموضوع

(2)أحمد أمين، مرجع سابق، ص: 30.

المعاني أرسالا[1]، وتنثال عليه الألفاظ انثيالا... وكانوا أمّيين لا يكتبون, ومطبوعين لا يتكلّفون ... وكلّ واحد في نفسه أنطَقُ، ومكانه من البيان أرفع".[2]

أما بن خلدون فإنّ رأيه في العرب منثورٌ في نقاط عديدة من مقدمته منها :

أنهم :"إذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب, لأنهم أمّة وحشية, فالحجر مثلا إنما حاجتهم إليه لنصب أثافي القدر, فينقلونه من المباني ويخربونها عليه... وليس عندهم في أخذ أموال الناس حدّ ينتهون إليه..."[3].

وذكر بأنهم لا يراعون كيف يختطّون المباني ولذلك يسرع إليها الخراب، ولا يختارون المواقع الحسنة من طيب الهواء والمياه والمزارع " وإنما يراعون مراعي إبلهم خاصة، لا يبالون بالماء طاب أو خَبُثَ ولا قَلَّ أو كَثُر ".[4]

ثم أعطى أدلة على اختطاط مدينة الكوفة والبصرة والقيروان, حيث راعوا مراعي إبلهم فبعدت مدنهم عن الوضع الطبيعي، فلمّا انحَلَّ أمرُهم وذهبت عصبيّتهم أسرع الخراب والانحلال عليها.

وذكر بأنهم أبعد الناس عن الصناعات وذلك لعراقتهم في البدو وبُعدِهم عن العمران الحضري وما يتطلب هذا الأمر من صنائعَ وغيرها، وهم أبعد الناس عن العلوم, وذهب إلى أنّ " حَمَلة الحديث الذي حفظوه من أهل الإسلام أكثرهم عَجَمٌ أو مستعجمون باللّغة والمربى, ولم يقم بحفظ العلم وتدوينه إلاّ الأعاجم".[5]، ويذهب إلى أنّ أكثر مَن خدم العربيةَ والإسلامَ هم الأعاجمُ.

وهو يلتقي مع الجاحظ في الشهادة للعرب بأنهم لا يزالون " موسومين بين الأمم بالبيان في الكلام والفصاحة في النطق".[6]

أما المستشرقون، فيقول أوليري في كتابه" Arabia Before Mohammed": " إنّ العربي يُعَدُّ مثلا أو نموذجا مادي[7]ينظر إلى الأشياء نظرة مادية وضيعة...وليس لديه مجال للخيال ولا للعواطف ولا يميل كثيرا إلى دين، ولا يكترث بشيء إلا بقدر ما ينتجه من فائدة عملية، يملؤه الشعور بكرامته الشخصية حتى

(1)أرسالا : أفواجا. جمع رسل بالتحريك

(2)الجاحظ، مصدر سابق، 3/27-28.باختصار

(3)ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، دار القلم، ط2، بيروت، لبنان،1984، ص:149.

(4)نفسه. ص: 359.

(5)نفسه. ص: 544.

(6)ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، 15/2

(7)الصواب: " مادّياً "(بالنصب على أنه نعت لـ نموذجا).

لَيثور على كل شيءٍ من أشكال السلطة, وحتى ليتوقع منه سيّدُ قبيلته وقائده في الحروب الحَسَدَ والبُغْضَ والخيانة من أوّل يومٍ اختير للسيادة عليه"[1].

في حين يقول :" خدا بخش " (Khuda Bukhsh) غامزا شرف العرب:" لقد كانت الناحية الخلقية عند الجاهليين في أشدّ أو قات جزرها قبيل الإسلام، فلم يكن إخلاص الرجل لزوجته شديدا، وكان يدعوها إلى معاشرة غيره من الرجال "[2]

قد تكون هذه الآراء بعيدةً بعدا كبيرا عن نمط البحث العلمي, والشيء الأكيد الذي نحرص عليه مثلما حرص عليه عددٌ كبير من الباحثين على اختلاف مشاربهم ووجهات نظرهم في أنّ تقديس العرب أمرٌ مرفوض وأنّ النقص منهم ووسمِهِم بكلّ رذيلة أمرٌ مرفوض أيضا, ولا تعدو أن تكون هذه الآراء على اختلافها وتناقضها آراء متطرفة إلى هنا وهناك، وليس من طبيعة البحث العلمي أن نقول بالمثل المأثور"خير الأمور أوسطها"، ولكننا نذهب إلى أنّ العرب ليست أمة مقدّسة، فلغتها خير لغة, وجنسها خير جنس وطبيعتها خير طبيعة وفصيلتها خير فصيلة, وكل من ينقض هذا القول غافل متآمر لا يفقه من أمرٍ شيئا، ولسنا نقول أيضا إنها أمة همجية، حاضرها أشنع من ماضيها، ومستقبلها أسوأ من حاضرها بل طبيعة الأمور تقتضي أنّ العرب أمةٌ لها فضائلها ورذائلها, مثلها مثل كلّ الأمم والشعوب [3].

ولا يمكن بأيّ حالٍ من الأحوال أن نقارنها - مثلما فعل الشعوبيون – بأمم أخرى كالفرس والروم، إذ أنّه ليس من العلم في شيء أن نضع مقارنة بين أمة في عهد طفولتها الأولى وبين أمم أخرى تطوّرت واستوت واستمدّت من بعد طفولتها كهولةً راشدة.

ويذهب الدكتور عز الدين إسماعيل في فصلٍ له بعنوان : " صراع الشعوبية "- بعد أن فصّل في جهود الشعوبيين من أجل تشويه الثقافة العربية والإسلامية بالتحريف في القصص والأشعار والأمثال وتفسير القرآن والحديث – إلى القول:"فإذا قلنا بعد هذا إنّ الشعوبية كانت حربا على العرب، موجَّهةً إلى تراثهم التاريخي والأدبي, بل موجهة إلى الإسلام نفسه،لم نكن مبعدين أو مُغالين[4].

لقد يكون من لبِّ القول واختصار مجمله أن نعتبر العقلية العربية عقلية طبيعية، غير أن قولنا هذا لا يعني أن العرب قد كانوا منعزلين انعزالا تامّا، وأنهم لم يخرجوا عن حدود تواجدهم, والقرآن الكريم يحدثنا عن التجارة التي كانت تشتغل بها قريش في سورة سمّيت باسمهم, إذن لم يكن العرب منعزلين

---

(1)أحمد أمين، مرجع سابق، ص:33.

(2)يحي الجبوري، **الشعر الجاهلي وخصائصه وفنونه**، مؤسسة الرسالة، ط7، بيروت، لبنان، 1994، ص:91

(3)نقد الأستاذ " أحمد أمين" الآراء نقدا علميا شافيا وخاصة رأيَ ابن خلدون و أوليري. ينظر: **فجر الإسلام**. (طبيعة العقلية العربية). ص:30-38.

(4)عز الدين إسماعيل، **في الأدب العباسي**، الرؤية والفن، دار النهضة العربية، بيروت، 1975،ص:123.

منطوين على أنفسهم، بل كان لهم صَولٌ وجَول في الأرض يمشون في مناكبها يلتقون تارة بأبناء جنسهم في السلم والحرب، وفي الحج وفي الأسواق، ويلتقون تارة أخرى بأجناس من أمم أخرى, حتى أن الرسول(ص) عندما ضاق به الأمر وبأصحابه في مكة في أثناء الدعوة إلى الدين الجديد حثّهم على الهجرة إلى الحبشة .

إنّ حاجة الناس إلى بعضهم البعض أمرٌ فطري وطبيعي وحتمي, ومن ثمة كانت الحاجة الفائضة مطلوبةً من الأجناس الأخرى، وكانت التجارة بالقوافل خيرَ وسيلة لتوصيل البضائع والمنتجات المحلية، ومن البديهي أن تلتقي الثقافات والعقول بين هذه الأمم، أضف إلى ذلك الإمارات العربية التابعة إلى الفرس والروم تَبَعِيَّة سياسية كالمناذرة والغساسنة، والتي من شأنها تطوير التبادل الاقتصادي والتجاري بين الأمم والأجناس. ويتساءل أحمد أمين قائلا:" أترى أنّ هذه التجارة تقتصر على التبادل العروض والنقود ولا تتعداها إلى الأمور المعنوية والأدبية؟ لسنا نرى ذلك, بل نرى أن العرب استفادوا، فوق تجارتهم المادية، شيئا من مدنِيَّة الفرس والروم وأدبهم[1].

أما بلاشير فيذكر " أن تجار الحيرة أو اليمن لم يجلبوا معهم السلع الغريبة فحسب، بل طائفةً من الأفكار والعادات التي من شأنها توسيع مدارك سكان المجال العربي "[2]

وليس غريبا بعد هذا أن نجد في القرآن الكريم نفسه ألفاظا ليست عربية، وإنما هي خليطٌ من ألفاظٍ أجنبية منها اليوناني والحبشي والفارسي، ولقد " عدَّ العلماء في القرآن من غير لغات العرب أكثر من مِائة لفظة، ترجع إلى لغات الفرس والروم والنبط والحبشة والبربر والسريان والقبط، وهي كلماتٌ أخرجتها العرب على أوزان لغتها وأجرتها في فصيحها فصارت بذلك عربية"[3]

رابعا: مظاهر الحياة العقلية :

لقد كان للعرب في حياتهم العقلية معارفُ ورثوها عن أسلافهم, كما اقتبسوها عن الأمم المجاورة، وهذه المعارف والعلوم تكاد تكون بدائية ساذجة لم تنتظم في بحوثٍ علمية ودراسات معمّقة، بل كانت تعتمد على التجربة الطبيعية فيما تحتاجه المجتمعات البدائية القبلية .

من هذه العلوم والمعارف معرفتهم بعلوم النجوم ومواقعها، حيث أفادوا من الصابئة في معرفتها، وذلك لحاجتهم إلى تعرّف أوقات نزول الغيث والاهتداء بالنجوم كالعلامات في أثناء سيرهم في الصحراء, يقول صاعد الأندلسي:" كان للعرب معرفة بأوقات مطالع النجوم ومغاربها, وعلمٌ بأَنْواءِ الكواكب وأمطارها على حسب ما أدركوه بفرط العناية وطول التجربة، لاحتياجهم إلى معرفة ذلك في أسباب المعيشة".[4]

(1)أحمد أمين، مرجع سابق، ص: 15.

(2)بلاشير، مرجع سابق،64/1.

(3)الرّافعي، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، دار الكتاب العربي، ط3، بيروت. ،2001 ،ص:72.

(4)يحي الجبوري، مرجع سابق، ص:95.

كما تعلّموا قليلا من علم الطب لمعالجة أنفسهم حين تلمّ بهم العلل والأسقام, وكان دواؤهم العقاراتِ النباتيةَ والكيَّ بالنار، وفي تلك المعرفة القليلة بالطب يقول ابن خلدون :" وللبادية من أهل العمران طِبٌّ يبنونه في غالب الأمر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص متوارثة عن مشايخ الحي وعجائزه, وربما يصح منه البعض, إلاّ أنه ليس على قانون طبيعي ولا على موافقة المزاج, وكان عند العرب من هذا الطب كثير, وكان فيهم أطباء معروفون كالحارث بن كلدة وغيره "[1]، ومنهم أيضا ابن حِذْيَم المشهور حتى قيل فيه المثل :" أطَبُّ من ابن حِذيم"[2].

ولاهتمامهم بحيواناتهم ومعرفة أوصافها وأعضائها نشأت البيطرة بينهم لمداواة بهائمهم، واشتهر منهم العاص بن وائل[3]، وسلمان الباهلي[4],كما اشتُهروا من بين الأمم بعلم الأنساب والقرابات التي بين بعض القبائل وبعض, بحيث يلحقون فروعها بأصولها, وكان الغرض من هذا إذكاءَ عصبيّتهم" لكثرة حروبهم وتفرّق قبائلهم وأنَفَتِهم من أن يكون للغريب عنهم سلطان عليهم، وحبّهم الافتخارَ لأسلافهم ".[5]

كما هداهم ذكاؤهم وخصب قريحتهم وصفاء ذهنهم إلى الفراسة والقيافة والعيافة والزجر والطَّرْقِ بالحصى, فالفراسة هي الاستدلال بمظهر الإنسان وشكله وهيئته ولونه، وقوله على أخلاقه وفضائله ورذائله, أما القافية فهي ضربٌ من الفراسة وهي الاهتداء بآثار الأقدام إلى أصحابها كانوا يفرقون بها بين المرأة والرجل وبين الأعمى والبصير، وأشهر مَن عُرِف بها بنو مدلج وبنو لهب, أما العيافة والزجر والطّرق بالحَصى في ضربٍ من التنبّؤ مثل الكهانة والعرافة، ويكون الاستدلال بأصوات الحيوانات وحركتها تيّمنا بها أو تطيّرا منها, وأشهر من عُرِف بذلك بنو أسد وبنو لهب, حتى قال قائلهم[6]:

خَبِيرٌ بَنُولهَبٍ فَلا تَكُ مُلْغِيًا مَقَالَةَ لَبْيٍّ إذا الطّيرُ مَرَتِ

في حين كان عددٌ منهم ينكر هذا التنبؤ ويكذّبه. وحيث نرى لبيدا يقول في عينيته الشهيرة:[7]

لَعَمْرُكَ مَا تَدرِي الضَّوارِبُ بالحَصَى ولا زَاجِراتُ الطَّيرِ ما اللهُ صَانِعُ

ونسمع لضابن بن الحارث يقول:[8]

---

(1)ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص: 493.

(2)الميداني، **مجمع الأمثال**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد،دار المعرفة، بيروت، (د,ت). 441/1.

(3)محمد هاشم عطية، **الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي**،دار الكتب، مصر، 1977، ص:47.

(4)ينظر: يحيى الجبوري، مرجع سابق، ص:98.

(5)أحمد الهاشمي، **جواهر الأدب في أدبيات و إنشاء لغة العرب**، مؤسسة المعارف، بيروت، 21/2.

(6)ابن هشام، **قطر الندى وبَلُّ الصّدى**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط11، القاهرة، 1383هـ ص:272.

(7)لبيد بن ربيعة، **ديوان لبيد بن ربيعة**، تحقيق: إحسان عباس،ط الكويت،1962.ص:172.

(8)أحمد الهاشمي، مرجع سابق، 23/2.

ومَا عِلاجَاتُ الطَّيرِ تُدْنِي من الفـتى نجـاحًا ولا عَن رَيْثِهِنَّ يَخِـيبُ
ورُبَّ أُمـــورٍ لا تَضِـيرُكَ ضَيــرَةً وِلِلقَلْبِ من مَخْشاتِهِنَّ وَجِيبُ
ولا خَيرَ فِيــمَنْ لا يُــوطِّــنُ نفسَهُ على نَائِبَاتِ الدّهرِ حِينَ تَنُوبُ

كما كان للعرب معرفة بأحاديث وأيام وتاريخ أسلافهم, وأحداث الأمم القديمة, كما عرفوا أخبار الروم والفرس وملوكهم وحروبهم, وذلك بسبب اختلاطهم بهم، فيما بيّناه سابقا وعلى نحو ما نجد من أخبار النّضر بن الحارث الذي كان ممن " يؤذي الرسول (ص) وينصب له العداوة, وكان قد قدِم الحيرة وتعلّم بها ملوك الفرس وأحاديث رستم واسفنديار"[1].

وكان يقول لقريش- بعد أن يرى الرسول (ص) قد أخذ مجلسه منهم فيذكر الله ويحذر قومه من عذابٍ كالذي حدث للأمم السابقة –: " أنا والله يا معشرَ قريش, أحسنُ حديثا منه, فَهَلُمَّ إليَّ، فأنا أحدِّثكم أحسن من حديثه، ثم يحدّثهم عن ملوك فارس ورستم واسفنديار, ثم يقول: بماذا محمدٌ أحسن حديثا منّي ؟"[2].

وكانت لهم خطابة وحكمة, ومن أشهرخطبائهم وحكمائهم أكثمُ بن صيفي وربيعة بن حُذار وهرِم بن قطبة وعامر بن الظّرب ولبيد بن ربيعة[3]،كما كانوا يتمثّلون بأمثالٍ وجيزة معبرة، حفظتها كتبٌ معروفة كمَجْمَع الأمثال للميداني، والمستقصي في الأمثال للزمخشري، وجمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري.

قائمة المصادر و المراجع:

1. **القرآن الكريم**
2. أحمد أمين، **فجر الإسلام**، دار الكتاب العربي، ط11، لبنان، 1975.
3. أحمد الهاشمي، **جواهر الأدب في أدبيات و إنشاء لغة العرب**، مؤسسة المعارف، بيروت، (د,ت).
4. الأصفهاني، **الأغاني**، شرح سمير جابر، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1992.
5. البكري، **معجم ما استعجم**، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، ط3، بيروت، 1403هـ.
6. بلاشير رجيس، **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة إبراهيم الكيلاني، الدار التونسية للنشر و م.و.ك، الجزائر.
7. ابن هشام، **قطر الندى وبَلُّ الصّدى**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط11، القاهرة، 1383هـ.
8. الزّوزني، **شرح المعلقات السبع**، مكتبة المعارف، بيروت، 1994.

(1)ابن هشام، مصدر سابق، 265/1.

(2) نفسه.265/1

(3)ينظر: الجاحظ، مصدر سابق، 365/1.

9. الطبري، **تفسير الطّبري**، دار الفكر، بيروت، 1405هـ.
10. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، دار الفكر. بيروت،(د.ت).
11. يحي الجبوري، **الشعر الجاهلي وخصائصه وفنونه**، مؤسسة الرسالة، ط7، بيروت، لبنان، 1994.
12. ابن كثير، **البداية والنهاية**، مكتبة المعارف، بيروت، (د.ت).
13. لبيد بن ربيعة، **ديوان لبيد بن ربيعة**، تحقيق: إحسان عباس،ط الكويت،1962.
14. محمد الفيومي، **تاريخ الفكر الديني الجاهلي**، دار الفكر العربي، ط4، القاهرة،1994.
15. محمد هاشم عطية، **الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي**،دار الكتب، مصر، 1977.
16. مصطفى صادق الرّافعي، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، دار الكتاب العربي، ط3، بيروت، 2001.
17. مصطفى صادق الرافعي، **تاريخ آداب العرب**، المكتبة العصرية،ط1، بيروت، 2000م.
18. ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، (د.ت).
19. الميداني، **مجمع الأمثال**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد،دار المعرفة، بيروت، (د,ت).
20. عبد العزيز السيد سالم، **تاريخ العرب قبل الإسلام**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر ،1997.
21. عبده الراجحي، **اللّهجات العربية في القراءات القرآنية**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1998.
22. عز الدين إسماعيل، **في الأدب العباسي**، الرؤية والفن، دار النهضة العربية، بيروت، 1975.
23. علي الجندي، **في تاريخ الأدب الجاهلي**، دار غريب، القاهرة، مصر، 1998.
24. عمر فروخ، **تاريخ الجاهلية**، دار العلم للملايين، بيروت، 1964.
25. شوقي ضيف، **العصر الجاهلي**، دار المعارف، ط18، مصر، 1995.
26. ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1971.
27. ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، دار القلم، ط2، بيروت، لبنان،1984.